مجلة دراسات المجلد 12 العدد 01 ماي 2023

تيسير النحو ضرورة تعليمية

Facilitating grammar is an educational necessity

د. مخلوف حفيظة

جامعة الدكتور طاهر مولاي سعيدة، (الجزائر)

makhloufhafida@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2023/01/02 تاريخ القبول: 2023/05/01 النشر: 2023/05/31.

ملخص:

صعوبة النحو هي واحدة من الإشكاليات التي تعترض العملية التعليمية لدى الكثير من المتعلّمين، الذين يواجهون بالفعل صعوبةً في المناهج التدريسية المتعلقة باللّغة العربية، ونظمها اللّغوية كالنحو والصرف والتعبير والبلاغة والعروض، ولاسيما في الإعراب، الأمر الذي يؤدي بالمتعلّم أو المقبل عليه إلى إهماله أو النفور منه، فيلزمونهم في المناهج التربوية بحفظ قواعد نحويةٍ كثيرةٍ وبصيغٍ معقّدةٍ ملتويةٍ في كثيرٍ من الأحيان. في حين الأيسر أن يأخذ بالقلّة منها كي يسهل عليه النحو من ناحيةٍ، ويتمكّن من استثمار موارد النص وتوظيفها من ناحيةٍ أخرى، لاسيما وأنّ هذا العلم يعدّ الركيزة الأساسية للغة العربية لأنّه يرتبط ارتباطًا وثيقاً بالمعنى، وعليه يُبنى ترتيب الكلام وانسجامه.

بالإضافة إلى أنَّ بعض المعلّمين الذين يتّبعون أسلوبًا غير صحيحٍ في تلقين قواعد الإعراب، واعتماد أمثلةٍ مبهمةٍ، مع العلم أنّها في الكتب المعدّة للطور الثانوي غير كافيةٍ، وتعتمد على طرح الأسئلة أكثر من اعتمادها على الضبط والتطبيق.

وما يزيد من صعوبة تعلّم النحو الإهمال وعدم المتابعة والتكوين لمعرفة نقائص المتعلمين من خلال تنمية مهاراتهم في الكتابة والقراءة والإصغاء والتواصل باللّغة العربية.

الكلمات المفتاحية: نحو؛ تيسير؛ إعراب؛ تعليمية؛ تواصل.

Abstract :

The difficulty of grammar is one of the problems that face the educational process for many learners, Those who already face difficulty in the teaching curricula related to the Arabic language, and its linguistic systems such as grammar, morphology, expression, rhetoric and presentations, especially in syntax, which leads the learner or the one who is coming to him to neglect or repel him. In educational curricula, they oblige them to memorize many grammatical rules and often twisted complex formulas. While it is easier to take a few of them in order to facilitate the grammar on the one hand, and to be able to invest the text resources and employ them on the other hand, especially since this science is the main pillar of the Arabic language because it is closely related to the meaning, and on it is built the order of speech and its harmony.

In addition, some teachers who follow an incorrect method of teaching the

rules of syntax and adopt vague examples, knowing that they are insufficient in the books prepared for the secondary stage, and depend on asking questions more than on control and application.

What increases the difficulty of learning grammar is neglect and lack of follow-up and formation to know the shortcomings of learners by developing their skills in writing, reading, listening and communicating in the Arabic language.

KeyWords: Grammar; facilitation; syntax; teaching; communication.

المقدمة:

ازدهرت الحضارة العربية الإسلامية فيما مضى، وكانت اللّغة العربية هي السائدة فاضطر القدماء من العرب وغيرهم إلى التقعيد للّغة، فوضعوا النحو والصرف والبلاغة وغيرها من العلوم. واختلف الكوفيون والبصريون في المنهج، فانقسم أهل النحو بين مناصرٍ ومعارضٍ لهذه المدرسة أو تلك. وأدرك المشتغلون بالنحو تدريجياً أنَّ هناك صعوباتٍ كثيرةٍ تعترض المتعلِّمين ففكَّروا في ضرورة تيْسيره، فألَّفوا في هذا الموضوع كُتُباً عديدةً سنشير إلى بعضها في هذا العرض. واستمر التفكير في عملية الإصلاح منذ العصر القديم إلى الحديث فالمعاصر.

لكن يبدو أنّنا إلى اليوم لم نَهْتَدِ إلى طريقةٍ مثلى في تدريس النحو، بحيث يصعب على كثيرٍ من الدارسين أن يتجنَّبوا الأخطاء إذا لم يكن النص مضبوطاً بحركات الإعراب.ثم أدَّى هذا الوضع ببعض الباحثين إلى أن يفكِّروا في إلغاء الإعراب تماماً وهي دعوة متطرِّفة لا جدوى منها، إذْ لا يمكن لأيّة لغةٍ أن تستقيم بغير قواعد، كما إنَّ التعصُّب في المحافظة على بعض القواعد وإن لم تكن ضروريةً من شأنه أن يبقي اللّغة جامدة متحجِّرة، فلا تواكب اللّغات التي توصف بكونها "حيَّة".

لذلك إذا أردنا للّغة العربية أن تصبح لغة العلوم والحضارة كما حصل في العصور المزدهرة، فلا بدَّ أن ينكبَّ خبراء مختصُّون للبحث في الآليات والمناهج التي تحقّق عملية الإصلاح المنشودة.

I. أوْجه من الدعوة إلى تيْسير النحو

القول بضرورة تيسير النحو ليس دعوة جديدة، بل قد أَلَّف في هذا الموضوع قدماء ومحدثون.

فمن القدماء تمثيلا لا حصراً:

- الموجز في النحو،لأبي بكر محمد السراج.
- الضروري في صناعة النحو، لابن رشد.

- مقدمة في النحو، لخلف الأحمر.
- مختصر في النحو،للكسائي.
- الموجز في النحو، لابن خياط.

ومن المحدثين:

- التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية للطهطاوي.
- مشكلة الإعراب لطه حسين.
- لغتنا في أزمة لأحمد حسن الزيات.
- تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا مع نهج تجديده لشوقي ضيف.
-
- يُعدُّ (ابن مضاء القرطبي)أن يكون أبرز من فتح الباب أمام دعاة إصلاح النحو ، فنظرية العامل كما يرى (شوقي ضيف) قد درَّت حشداً من العلل والأقيسة يعجز الثاقب الحس والعقل عن فهْم كثير منها، ويضيف: ((وهذا كله أفسد كتاب النحو العربي إفساداً ؛ لأنه ملأه بمسائل ومشاك لا نحتاج إليها في تصحيح نطقنا،وتقويم لساننا،ولعل ذلك ما جعل الخليل بن أحمد يقول–فيما نقل عنه الجاحظ– في أوائل حيوانه–لا يصل أحدٌ من علم النحو إلى ما يحتاج إليه، حتى يتعلَّم ما لا يحتاج إليه)).(**ابن مضاء، 1947 م،ص:ب**).

فأما الدكتور (صالح بلعيد)، فيعود إلى بحث الأسباب التي أدت التفكير في إصلاح النحو فيراها كالتالي:

1. ((خلط الشواهد أثناء جمع اللغة: بمعنى أنّ هناك توسعا في جمع الشواهد وهناك من اقتصر على الشّائع منها.
2. اقتصار اللغويين على قبائل دون أخرى.
3. الاقتصار على جمع اللغة على زمن محدّد وهو منتصف القرن الثاني الهجري في الأمصار ونهاية القرن الرّابع الهجري في البادية.
4. اهتمام اللّغويين بشكل اللغة دون مضمونها أي التركيز على الحركات الإعرابية.
5. الاقتصار في أثناء تحليل المادّة على المكتوب دون المنطوق.

6. فصل النحو عن البلاغة: ممّا أدى إلى الصناعة النحوية التي كان لها أثرها السلبي على النحو العربي وتعلمه))(بلعيد،1995،ص:191).

يبدو أن القضية تتعلّق بالمنهجية أساساً، فلو افترضنا جدلاً أنهم لم يقتصروا على القرن الثاني الهجري وجعلوا المساحة الزمنية أطول لازدادت الأمور تعقيداً.فلعلَّ ولع النحاة بالفلسفة والمنطق والتسابق في إيجاد التخريجات والتأويلات كان له أثرٌ كبير في كثرة التبويب والتفريع فضلا عمَّا يشوب دراساتهم من خلافات وتناقضات.
وعندما دعا (ابن مضاء) إلى إلغاء نظرية العامل، فلأنه وقف على سبب التعقيد وذهب إلى أن النحاة بالغوا كثيراً ما جعل اللغة تستعصي على المتعلِّمين ، يقول في هذا المعنى:
((وإني رأيت النحويين–رحمة الله عليهم–قد وضعوا صناعة النحو لحفظ كلام العرب من اللحن،وصيانته عن التغيير،فبلغوا من ذلك إلى الغاية التي أمُّوا،وانتهوا إلى المطلوب الذي ابتغوا، إلا أنهم التزموا ما لا يلزم،وتجاوزوا فيها القدر الكافي فيما أرادوه منها،فتوعَّرت مسالكها،ووهنَت مبانيها،وانحطَّت عن رتبة الإقناع حُججُها حتى قال شاعرٌ فيها:
ترنو بطرْف ساحر فاتن...أضعف من حجَّة نحويّ))(ابن مضاء،**1947 م،ص:80**.

والحقيقة أنّهم ما كانوا لينشغلوا بهذا لولا أنهم وقفوا على ما في النحو من صعوبةٍ بالغةٍ أدَّت إلى وضعٍ لم يعد فيه المتعلِّم قادراً على التلاوة بشكلٍ صحيح يضبط فيه القواعد بالتمام. ويقول هادي العلوي في هذا المعنى:

((**إنّ الإعراب هو المشكلة الأساسية في لغتنا الحديثة فهو يضيف عبئاً زائدا على تعليم اللّغة يثقل كاهل المتعلمين ويضيع عليهم في نفس الوقت إمكانات الإتقان للغة القراءة والكتابة بعد مرحلة التعليم الأول. وتشتدّ وطأة الإعراب في لغة التلاوة حيث نجد الاصطدام بفروض النحو المعرب يجعل العربي عاجزاً عن الإلقاء السليم واللبق حتى لما يكتبه بنفسه**)) (العلوي، 1983، صفحة 58).

إذا كنا نسعى صادقين إلى تحقيق التيسير، فينبغي أن نحذر منزلقيْن يعوّقان عملية الإصلاح المنشودة: أحدهما يتشبَّث بالأصول إلى حد التعصُّب فيرى في أية محاولةٍ تجديديةٍ مساساً بالعربية وربما يراها تستهدف المقدّسات أيضاً، وثانيهما: يدعو إلى إلغاء الإعراب نهائياً. وقد تفاوتت آراء الذين تناولوا هذا الموضوع. كما أشارت صاحبة كتاب: "مختصر المختصر" إلى بعض الآراء، حيث تقول:

((**فقد عزا شوقي ضيف قصور العرب في لغتهم إلى "النحو الذي يقدم للناشئة، والذي يرهقها بكثرة أبوابه وتفريعاته (تيسير النحو التعليمي قديما وحديثاً، ص3) كما تمنى د .طه**

حسين بعد أن وصف الإعراب بأنّه مخيف جداً أن يبرئه الله من عقابيل رفع الفاعل بالضمة، وبنائه على السكون، يوما ما (مشكلة الإعراب، طه حسين ص 90 ص 97) ورأى أحمد حسن الزّيات "أنّ هذا النحو لا بدّ أن يتغير؛ لأنّه من الخطأ أن نأخذ عقول الشباب بتعلّمه، والخضوع لمشكلاته وعسره والتوائه" (لغتنا في أزمة، أحمد حسن الزيات ص47)) (طه، 2020، صفحة 02).

بينما تقتضي عملية الإصلاح تقييماً تشخيصياً لطبيعة قواعد هذه اللّغة ثم التمييز بين ما يحتاج إليه المتعلم في المراحل الأولى وما هو أنسب للبحث في الدراسات العليا.

ويأتي كتاب (هنادا طه) ((مختصر المختصر)) في هذا الاتجاه، محاولة منها لتبسيط قواعد النحو والصرف والبلاغة والإملاء. لكن يبدو أنّ محاولتها لا تطال طريقة التدريس بقدر ما تختصر القاعدة في فقرةٍ أقصر مما توجد عليه في بعض الكتب.

فأمّا، هادي العلوي، فإنّه يقدِّم أمثلة ويقترح بدائلها.

ففي التذكير والتأنيث، فإنّ الحرص على التمييز بين الجنسيْن في كل الأحوال ليس ضرورياً. فإذا قلت: **"تناضل النساء من أجل حريتهن وحقوقهن المشروعة ويجب على الرجال أن يساعدوهن لأداء ما عليهن من مهام النضال"**. فإنّ نون النسوة وضعها في هذا المثال لا يختلف عن وضع ميم الجمع أي يمكن القول: **"تناضل النساء من أجل حريتهم وحقوقهم المشروعة لأداء ما عليهم من مهام النضال"**.

والملاحظ في الواقع أنّه يصعب على أي متحدِّثٍ أن يطيل الكلام إذا تكرّرت نون النسوة في كل الجمل، يظهر ذلك جليّا لدى مذيعي الأخبار كما لدى المعلمين والأساتذة. ونقول "حضرت كل النساء" وفي العامية "حضروا كل النسا"، كما نقول: "قال العرب" و"قالت العرب"، ولفظ القمر مذكر لكنه يؤنث في الجمع (الأقمار) جرياً على قول الشاعر الذي هدّده قومه فقال:

إن قومي تجمعوا وبقتلي تحدثوا...وأنالا أبالي بجمعهم كل جمع مؤنث

يقول هادي العلوي عن التذكير والتأنيث:

((**يصر النحاة على المخالفة بين العدد ومعدوده في التذكير والتأنيث فيزيدون من تعثر المتكلمين من مذيعين أو خطباء وما أشبه... ويتعقّد الحال أكثر في الأعداد المركبة حيث يشترط أن يكون الجزء الأول مخالفا للمعدود في التذكير والتأنيث والثاني موافقاً**)) (العلوي، 1983، صفحة 158).

ثم يضيف معلِّقاً أن الشافعي نفسه قد تجاوز هذا القيْد في قوله:

((**إن صوم الثلاثة في الحج والسبع في المرجع عشرة أيام كاملة**)). حيث ذكر "السبع" وحقها التأنيث، فأولى بالمعاصرين ألا يُفْرطوا في التقييد.

ومن اشتراطاتهم في النسبة أن تكون للمفرد، فالصحيح نسبة إلى الدولة دَوْلي وإلى العقيدة عقيدي. فما الحرج في استعمال دُوَلي وعقائدي؟

فضلا عن أن التطور قد فرض النسبة للجمع وإلا التبس الوضع. فنقول مغاربي نسبة إلى المغرب الكبير والمغربي نسبة إلى المملكة المغربية. وهو يرى أنه لا ضرورة لحذف حرف العلة كي لا يحصل التباس في بعض الأفعال، فقولنا ((لم يعد يلتبس بأربعة أفعال أيضا: يعود ويعاد ويعدّ ويعدو)) وستكون أوضح ((لم يعود، لم يعاد، لم يعدو، لم يعدّ))

لكن يبدو أنّ المؤلف يتناسى دور السياق في هذا المقام، حيث يكون الكلام مفهوماً إذا قلنا: ((سافر ولم يعد ولم يعد كتابة الدرس ولم يعد في السباق ولم يعد الدراهم بشكل صحيح)). ثم ما العمل مع القاعدة الأصلية وقد سبق للمتعلمين أن عرفوا أنّ "لم" من حروف الجزم، أو ليس من الأسهل أنْ توضع الحركة عوض إثبات حرف العلّة (لم يعُدْ، لم يُعَد، لم يعْدُ، لم يَعدّ)؟؟

ينكر النحويون تتابع المضاف: "طبع ونشر الكتاب" والأصح عندهم طبع الكتاب ونشره. واسم المفعول منتج ومغلق ومزعج لا منتوج ومغلوق ومزعوج.

قال شاعر:

ولا أقول لقدر الحي قد غليت...ولا أقول لباب الدار مغلوق

بينما هذا الذي يُعدّ خطأ في حكم النحاة هو الجاري اليوم على الألسنة. فضلا عن أنَّ اسم المفعول يلتبس باسم الفاعل في "منتج ومغلق ومزعج".

بينما انزعج آخر حين أنكر عليه النحويون قوله:

بانت نعيمة والدنيا مفرقة... وحال من دونها غيران مزعوج

فردَّ يقول:

ماذا لقينا من المستعربين ومن... قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا

إن قلت قافية بكرا يكون بها...بيت خلاف الذي قاسوا أو ذرعوا

قالوا لحنت وهذا ليس منتصباً...وذاك خفض وهذا ليس يرتفع

إن من يتعرَّض إلى قضية تجديد النحو اليوم، لا يمكن أن يغفل اسم (زكرياء أوزون) ولو خالفه. فهو باحث سوري درس الهندسة المدنية ثمَّ انكب على مراجعة التراث فكان من مؤلَّفاته((جناية البخاري))و((جناية الشافعي))و((جناية سيبويه))وغيرها.

في كتابه ((جناية سيبويه))يدعو إلى ضرورة إصلاح النحو انطلاقاً من واقع اللغة العربية اليوم ونقداً لما ورثناه من قواعد معقَّدة أصبحت عائقاً أمام إتقان القراءة والكتابة والفهم، فهو يقول:

((إننا نجد كثيرا منا يقرأ النص العربي مراعيا قواعد النحو أولا ثم المعنى، فهو مهتمٌّ بأن يرفع وينصب ويجزم قبل أن يفهم،وهناك من يقرأ النص قراءة صامتة بعد قراءته الجهرية ليستوعب المعنى تماماً أي أن الشكل أساس القراءة الصحيحة ثم يأتي بعد ذلك المضمون الذي نطوعه غصبا عنه ليخضع لقواعد النحو "الشكل")). (**أوزون،2002 ،ص:13.**)

وهو يرى أن سيبويه لم ينجح في عقلنة قواعد اللغة لأنه من أصل فارسي ليتعلَّم أمثاله من الأجانب اللغة العربية بوصفها جديدة عليهم فلا يلحنون لذلك انصبَّ اهتمامه على ضبط أواخر الكلمات بالحركات.. ويتأسَّف على أن العرب ساروا على نهجه.

إنه لا يستسيغ أن يكون للمبتدإ عدة أخبار ولا أن يتوالى مبتدآن أو أن يكون الخبر مُقدَّماً .فهذا عنده كلام غير منطقي . وهو نفسه يستعمل صيغة"مرفوع بالضمة ومنصوب بالفتحة ومجرور بالكسرة" بينما الأصح أنَّ هذه الحركات هي علامات . كما يتحدَّث عن الأفعال الناقصة فيقول إنها "ترفع الأول وتنصب الثاني" في حين أن الأول لا ترفعه إذْ كان مرفوعاً من قبل.وتتكرَّر عدم الدقة هذه مع الأحرف المشبَّهة التي يرى أنها "تنصب الأول وترفع الثاني" .

ويستشهد بقوله تعالى : { سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون}

حيث يرى أنَّ القرآن الكريم نفسه قد خالف مفهومهم للفعل الناقص. حيث اكتفى بأنها من أخوات كان فلا بدَّ أن تكون ناقصة.لكن النحاة يميِّزون بينها حين تدلُّ على الزمن المحدَّد فتصبح تامَّة . ما يعني أنهم أخذوا الدلالة وفق السياق.

ينتهي صاحب الكتاب إلى خلاصة مفادها أنْ لا ضرورة للانشغال بالحركات مادام المدلول مفهوماً إذ لا فرق –– حينئذ–بين قولنا:

((كان أحمد فائزاً أو كان أحمد فائزٌ أو كان أحمد فائز–أو كان أحمد فائزْ)).

والملاحظ أن الجملة الثالثة لا ضرورة لذكرها مادامت الرابعة تُغني عنها.فهي تُقرأ ساكنة ولو لم يوضع السكون أو الوقف كما سمَّاه بعضهم.فضلا عن أن هذا الرأي ليس جديداً إذ يقول (إبراهيم مصطفى: ((**أما علامات الإعراب فقلَّ أنْ ترى لاختلافها أثراً في تصوير المعنى، وقلَّ أن يُشعرنا النُّحاة بفرق بين أن تنصب أو ترفع فلو أن حركات الإعراب دوال على شيء في الكلام، وكان لها أثر في تصوير المعنى يحسّه المتكلم ويدرك ما فيه**

من الإشارة ومن وجه الدلالة لما كان الإعراب موضع هذا الخلاف بين النحاة ولا كان تعلُّمه بهذه المكانة من الصعوبة وزواله بتلك المنزلة من السرعة))[1]**(إبراهيم،2014، ص:15)**

فأما الفعل فيدلُّ على الزمن فليس معقولا أن يُسمَّى مضارعاً مثلاً، لأنه يضارع الاسم في الرفع والنصب والجزم، وكان الأصح أن يُسمَّى (حاضراً). فربما غاب عن المؤلِّف أن هذا البديل الذي يقترحه لا يفي بالغرض فالمضارع لا تقتصر دلالتُه الزمنية على الحاضر، بل يدل على المستقبل أيْضاً وتنقلب دلالته أيضاً إلى الماضي إذا سُبق بحرف نفي وجزم وقلب.

الحال اسم منصوب، فإذا غاب النصب فإنها لا تُعرب حالاً ولو دلَّت على الحال كما في المثاليْن:

((هذا البطل خاسرٌ))و ((سأزورك مادام أبوك مريضاً))"خاسرٌ" خبر و"مريضاً" خبر مادام..

ويتعجَّب من تأويلات النحاة عندما يعدُّون بعض الأحرف زائدة في كلام الله، من ذلك قوله تعالى: {وأيّاً ما تدعو فله الأسماء الحسنى[سورة الإسراء الآية: 160] وقوله:{ فقليلاً ما تؤمنون}[سورة البقرة: الآيية88].لأنه لا يُعقل أنْ يُتَّهم الخالق بعدم الدقة في التعبير.

يخلص (زكرياء أوزون) إلى أن القواعد التي ورثناها ليست منطقية ولا عقلية ولا بد من التأسيس لقواعد جديدة من أجل النهوض باللغة العربية فيدعو إلى مراعاة ما يلي:

أ-((موقع ودور الكلمة في النظم لا اعتماداً على أواخر الكلمات (الشكل).

ب-((إعمال العقل والمنطق في التقعيد وقيام التوافق بين الدلالات والمدلولات)).

ج-((تأثير الزمن وفاعلية الأدوات(الحروف) في القواعد)). **(أوزون، 2002،ص:181)**.

إن كل فصل من هذا الكتاب يحتاج إلى دراسة نقدية مفصَلة ،وإنما اكتفيْنا ببعض العيِّنات ليتبيَّن أنَّ طرحه لا يخلو من مآخذ.إذ إنه يركِّز على إلغاء حركات الإعراب، ما من شأنه –كما في المثال أعلاه-أن يؤدّي إلى إلغاء الحدود بين العامية والفصحى. وفي هذه الحالة عندما لا يتأسَّس النقد على عدم تقديم بديل مقنع يسقط –بدوره- في اللامنطق واللاعقلنة.

يؤكد(تمام حسن) في أحد فصول كتابه:((اللغة بين المعيارية والوصفية)) على أن اللغة ظاهرة اجتماعية، أو هي كائن حيّ يخضع للتطوّر بحكم اختلاف الأمكنة والأزمنة.فلا يصح التشبُّث بنموذج لم يعد يواكب التحولات التي عرفتها المجتمعات العربية.غير أن التطوُّر لا يمكن أن يكون مدعاة لإلغاء القواعد

((إلى هذا الحد نستطيع أن نرى الخطأ المنهجي في التفكير في دراسة لغة عربية ذات مرحلة واحدة، أو بعبارة أوضح ذات صورة واحدة لم تتغيَّر منذ الجاهلية إلى الوقت الحاضر.مثل هذا التفكير لا بد أنْ يقود إلى المعيارية لأنه سيحتِّم فرض قاعدة على مثال من مرحلة أخرى،أي فرض قاعدة من نص جاهلي مثلا على مثل من شعر إيليا أبو ماضي وكم في شعر إيليا وأمثاله من قواعد لا يقبلها إلا الاستعمال الشعري الحديث))، (تمام،2000،4م،ص:183-184)

II. نماذج عن الكتاب المدرسي:

إذا ما عدنا إلى نماذج من الكتب المدرسية المعتمدة، فإنّنا نجدها تميل أحياناً إلى التعقيد وأحياناً أخرى إلى عدم الدقة. ففي ((كتابي في اللغة العربية للسنة الأولى- متوسط)) أتى الاستنتاج كالتالي:

((كان وأخواتها أفعال ناقصة تدخل على الجملة الاسمية فترفع المبتدأ ويُسمَّى اسمها وتنصب الخبر ويُسمَّى خبرها.

أخوات كان هي: صار، أصبح، أضحى، أمسى، بات، ظلَّ، ويأتي منها الماضي والمضارع والأمر.

مازال، ما فتئ، ما برح، ما انفكَّ، ويأتي منها الماضي والمضارع فقط)) (كتابي في اللغة العربية للسنة الأولى- متوسط، صفحة 77).

المعروف لدى النحويين أنّ المبتدأ مرفوع بالابتداء فهي لا ترفعه، و"إنَّ "تنصب المبتدأ ولا ترفع الخبر. بالإضافة إلى أنّ التلميذ أمامه أربع سنوات في التعليم المتوسط فليس ضرورياً أن يُحشى ذهنه بكل أخوات كان خاصة إذا كان بعضها غير مستعمل مثل: (ما فتئ، ما برح، ما انفكَّ). وإلا سنلزم أنفسنا أيضاً بإيراد الأفعال التي بمعنى صار وهي عشرة.

بمعنى صار في الأفعال عشر ... تحوّل عاد آض ارجع لتغنم

وراح غدا استحال ارتد فاقعد ... وحارَ فهاكَها والله أعلم

ولم يعد اسم الآلة- بفعل التطور الهائل- محصوراً في الأوزان المؤروثة (مِفْعال، مِفْعل، مِفْعلة) كما جاء في كتاب: ((الجديد في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة للسنة الثانية من التعليم الثانوي العام والتكنولوجي))، لذلك لا بد من إعادة النظر في مثل هذه القواعد. فأين الجرار والسكين والسيف وغيرها من الآلات القديمة والمستحدثة التي لا يمكن أن نكتفي فيها بالقول إن هناك أسماء جامدة كالقلم والقدوم وغيرهما؟

إن القاعدة تأتي في بعض الأحيان ملتوية معقّدة تستعصي على الحفظ ويصعب على التلميذ إحكامها كما هو مطلوب منه في بناء أحكام القاعدة، من ذلك مثلاً:

((**عند تصغير الاسم يضمّ أوّله، ويفتح ثانيه، وتزاد ياء ساكنة بعد الحرف الثاني**)).

((**كل اسم زاد على أربعة أحرف، وقبل آخره مدّ بالألف أو الواو أو الياء، يكون عند تصغيره على وزن فعيعيل نحو مصباح مصيبيح**)).

فاستنتاج كهذا يبدو عسيراً على الفهم والحفظ معاً، زيادة على أّن صياغة التصغير من الرباعي ليست مستساغة ولا مستعملة، مثل: ((**والرباعي عند تصغيره يكون على وزن فعيعل نحو منزل منيزل**)) (الجديد في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة للسنة الثانية من التعليم الثانوي العام والتكنولوجي، صفحة 164).

يخبرنا الواقع أنّ الطلبة الذين يستفيدون من مِنح للدراسة في الخارج يتلقوْن تكوينا سريعا، وبعد فترةٍ قصيرة يُحسنون لغة البلد المضيف بحيث تصبح اللّغة الجديدة لديهم أداة للبحث. وهذا يعود أساسا إلى اعتمادهم بيداغوجيا متطوّرة، ومناهج علمية في طريقة تدريس اللّغة، بينما انشغلت المنظومة التربوية عندنا بالجانب النظري أكثر، حيث انتقلنا من التّدريس بالأهداف إلى التّدريس بالكفاءات، فواصلنا التجريب بالمحاولة والخطأ في غياب تشخيصٍ دقيقٍ للوضعيات التّعليمية/التّعلّمية .

المفروض أن ينكبّ خبراء في اللّغة والبيداغوجيا وغيرها من التخصّصات ذات الصلة بتدريس قواعد اللّغة لنتمكّن من وضع مناهج ميسّرة لا تجعل من قواعد اللّغة غاية في ذاتها، بل وسيلة لإتقانها وصولا إلى فَهْم ظواهر المقروء وبواطنه.

إن دعاوى الإصلاح مهما كانت بريئة إلا أن فيها شططاً كبيراً أحياناً ، وغالباً ما تُتَّخذ الصعوبات التي في النحو ذريعة لدى أولئكم الذين يسعوْن إلى الترويج إلى اللهجات أو إلى تبنِّي لغات توصف بأنها "حيَّة".
لقد كانت اللغة العربية في عصر ازدهار الحضارة العربية الإسلامية تشكِّل ملتقى الثقافات وتمكَّنت من احتضان سائر العلوم الطبيعية والإنسانية ولم تبْقَ محصورة في الشعر كما يتوهَّم كثيرون.
الصينيون لا يشكون صعوبة في لغتهم حدَّ الازدراء ، بل أصبح العالَم يتطلَّع إلى تعلُّمها بسبب ما تعرفه الصين من نهضة اقتصادية وتكنولوجية غير مسبوقة. ناهيك عن أن أهل اللغة العبرية يسعون إلى إحيائها بشتَّى الوسائل.
تظهر بعض الأصوات بين الحين والحين تنادي بالقطيعة ليس مع التراث اللغوي وحسب ، بل مع التراث بمجمله. وهذه الدعوة ليست –في الأصل– سوى امتداد لمركزية أوربية/غربية استعمارية كانت تهدف إلى القفز على الحضارة العربية الإسلامية برمَّتها ليحتكر الآخر خرافة الإشعاع الحضاري بعدما يصف غيره بالتخلُّف الأبدي ليحتلَّه ويستعْبده
إن اللغة العربية اليوم تحتل الرتبة الرابعة بعد الإنجليزية والصينية والهندية وأصبحت لغة معتمدة رسميا في الأمم المتحدة عام 1974.

الخاتمة:

تضمَّن هذا العرض جوهر الدعوة إلى تيسير النحو. وذلك لأنّه إذا كان القدماء أنفسهم قد دعوا إلى ضرورة تسهيله، فلأنهم وقفوا على ما فيه من صعوبات تواجه المتعلِّم، فألّفوا في ذلك على مرِّ العصور. وإنّه من الطبيعي أن يستمر الخلاف بين محافظين ومجدِّدين، لكن من واجب المشتغلين في هذا الحقل اليوم أن يشخِّصوا الوضع في المنظومة التربوية بدراسة المناهج التعليمية/التعلُّمية ليخلصوا إلى نتائج موضوعية تمكِّن الخبراء من اقتراح طريقة في تدريس النحو ليصبح وسيلة للقراءة الصحيحة والفهم المطلوب، لا أنْ يكون غاية في ذاته يجعل منه بعض المتفقِّهين حلبة للمبارزة بين أولئكم الذين يفنون أعمارهم في البحث عن أوجه الإعراب المختلفة .

ثم إنّه من غير المفيد أنْ نبقى نترنَّح بيْن جمود المحافظين فنركن إلى أنّه ليس بالإمكان أحسن ممَّا كان، ودعاوى المتطرِّفين إلى إلغاء النحو. بل المفروض أنْ نستثمر جهود السابقين واللاحقين بأن يعكف خبراء مختصون على البحث لإيجاد أيْسر السبل لتدريس القواعد ثم للنهوض باللّغة العربية لتصبح في متناول المبتدئين وتمكِّنهم من استيعاب مختلف فروع العلم والمعرفة فضلاً على ألا تبقى حبيسة الدستور بوصفها لغة رسمية في البلاد، لتنطلق إلى مجال أرحب يستعملها سائر أفراد المجتمع كما يطلب تعلُّمَها غير الناطقين بها.

ينبغي أن ندرك اليوم بأنها قضية وجود أو لا وجود، والذي لا يتقدَّم، لا شكَّ يتقهقر.

قائمة المراجع:

-ابن مضاء القرطبي، كتاب الردّ على النحاة،تحقيق وتقديم شوقي ضيف،دار الفكر العربي، الطبعة الأولى،1366 هـ-1947 م.

- تمام حسن، اللغة بين المعيارية والوصفية،عالم الكتب ، القاهرة ، ط، 4 ،2000م.

- الجديد في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة للسنة الثانية من التعليم الثانوي العام والتكنولوجي.
- زكرياء أوزون، جناية سيبويه،الرفض التام لما في النحو من أوْهام،رياض الريس للكتب، والنشر،الطبعة الأولى تموز/يوليو،2002 .

-صالح بلعيد: في قضايا فقه اللّغة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1995م

- كتابي في اللغة العربية للسنة الأولى- متوسط.
- هادي العلوي. (1983). *المعجم العربي الجديد* (الإصدار 01). دار الحوار للنشر والتوزيع.
- هنادا طه. (2020). تم الاسترداد من مختصر المختصر: https://hanadataha.com/wp-content/uploads/Mokhtasar-2020.pdf